

العملية الروسية في سوريا: الخلفيات والآفاق

عبد المنعم علي عيسى

بعد يومين فقط من بدء الضربات الروسية «أي / ٣ / ٢٠١٥» حدث ما يشير إلى هذا عندما أعلنت المجموعات الأوكرانية المسلحة لولالية موسكو عن البدء بسحب دباباتها عن خطوط الجبهة في منطق أوكرانيا هكذا ومن دون أي مقدمات، ومن الممكن أيضًا أن حالة الاسترخاء الأمريكية التي قابلت بها واشنطن العملية الروسية وهو ما يؤكد أيضًا وجود هذا التفاهمن الشار إليه، وإن كانت التصريحات الأمريكية تؤكد أنه التفاهمن المفترض أولى أو وقت فقد أعلن آشتون كارتر / ٢٠١٥ / ١٠ أن واشنطن لن تقوم التنسيق مع موسكو فيما يخص الحرب على الإرهاب في سوريا، وهو أمر لا يمكن فهمه إلا عبر التوصيف السابق «تفاهم أولي» ذي الحالات الصيقية، ولا هو يعلق السقف الأميركي من جهة، ولا هو يذهب باتجاه التنسيق مع موسكو على الرغم من أن الهدف الذي يسعى إليه أسراب الطائرات الروسية وناظريتها الأمريكية هو دفع واحد أقله فيما هو معلن.

يذكر التاريخ أن التحولات الكبرى قد حدثت بسبب توافقات—أو فاهمات— سياسية فيما بين القوى المتصارعة حتى إن استجاء تفاهمن كان يمثل في كثير من الأحيان سبيلاً رئيسياً في الذهاب نحو الحرب كما حدث في تجربة نيفيل شمبيرلين «رئيس وزراء بريطانيا» الذي وقع اتفاق سلام مع برلين خريف عام ١٩٣٨ أملاً أن يكون ذلك مانعاً أمام قيام هتلر بشن هجومه على بلاده، الأمر الذي نظر إليه هذا الأخير على أنه يمثل منتهى الضعف البريطاني، واندفع إلى إعلان الحرب على بريطانيا ٢١ يونيو ١٩٣٩ إلا أنه يذكر أن الحروب كانت على الدوام تمثل مفتاحاً لكل التحولات الكبرى ما يمكن أن تؤدي إليه العملية الروسية في سوريا.

٪ ٦٥ من قيمتها الحقيقة في الأسواق (تركيا تعتمد بنسبة ٪ ٦٠ على الغاز الروسي)، كما شملت ذهاب بوتين نفسه إلى الإعلان عن إلغاء مشروع النفق الجنوبي في مطلع عام ٢٠١٤ واستبدال به آخر يحمل الغاز الروسي إلى كامل أوروبا مروراً بتركيا (عاد بوتين في تشرين الثاني ٢٠١٤ إلى مشروع النفق الجنوبي الأول بعد موافقة أقرة المتشددة) أيضاً جهدت موسكو في إقناع السعوديين ولم تلق سوى المماطلة التي تليها مماطلة ليتأكد فيما بعد أن السعوديين لم يفقدوا أمالهم في تخلي موسكو عن دمشق حتى ما قبل أقل من شهر على بدء الضربات الجوية الروسية في سوريا.

من الممكن أن يقرأ التشدد السعودي والتركي على أنه نتج بالضرورة عن حالة تراجع أميركية حيال دمشق كانت بادية للعيان فكيف الأمر إذاً بما كان يجري تحت الطاولة كما يقال.

تأخر التدخل الروسي لأسباب عديدة لعل أهمها أنها كانت تحتفظ على الدوام بعلاقات «إيجابية» مع جميع الفرقاء في المعارض السورية وكذلك مع القوى الإقليمية والدولية الفاعلة في الأزمة السورية، كان ذلك التأخير يمثل فرصة طويلة لراجعة الخصوم لحساباتهم وتغليب لصوت العقل وخصوصاً أن جميع الطروحات الروسية كانت تدرج في سياق تسوية سياسية لا رابح فيها ولا مهزوم.

اليوم تشير التصريحات الأميركية المنضبطة تجاه العملية الروسية في سوريا إلى أن هناك تفاهماً روسيّاً -أمريكيّاً ربما حدث في لقاء لافروف مع كيري ٩ / ٢٠١٥ على هامش اجتماعات الدورة ٧٠ للجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو تفاهم يطول الأزمتين الأوكرانية وال叙利亚 كما تشير إلى ذلك بعض المؤشرات،

ما تأتي به الدبلوماسية الروسية لم يكن كافياً لقيام حالة ستاتيكيو عسكرية ما بين دمشق وموسكو، شيئاً فشيئاً بدأت تترسخ قناعة قاطعة لدى الروس بأن الرياض -معها أنقرة- ليس لديها سوى التصعيد في سوريا لاعتبارات عديدة تفوق بكثير تلك المعلن عنها، ومع ذلك فقد ترك الأمر كما يبدو لاجتماع الفرصة الأخيرة الذي ستشكله زيارة عادل الجبير إلى موسكو $11/8/2015$ ، وفيها أعد هذا الأخير إلى تصعيد كان غير مسبوق وهو -كما نرى أيضاً- ما دفع لافروف إلى القول: «إن التهديد بإسقاط الرئيس الأسد عسكرياً يشكل عدواً على سوريا» على حين ذهبت الصحف الروسية المقربة من دوائر القرار إلى القول «إن وجود الجبير على رأس الدبلوماسية السعودية يمثل دليلاً على استمرار غيبوبتها». وفيما تبقى من الصيف المنصرم بعد ذلك اللقاء جهدت موسكو في سعيها نحو إحداث تحول في الموقفين السعودي والتركي أو أحدهما، الأمر الذي يقتضي أن يتبعه الآخر، ولقد بدا لوهلة قصيرة أن ذلك المسعي الروسي قد تكلل بالنجاح عندما خرج رجب طيب أردوغان من جامع موسكو الكبير ليعلن أن الحل في سوريا يمكن أن يكون مع الأسد، قبل أن ينقلب على ذلك التصريح في أقل من نصف يوم عندما زاره في أنقرة تيم بن حمد حيث تخلَّ ذلك اللقاء اتصال أجرأه أردوغان مع العاهل السعودي ليعلن سريعاً أن تصريحاته قد فهمت خطأ.

قدمت موسكو العديد من الإغراءات الاقتصادية لأنقرة التي كانت بأمس الحاجة إليها بعد فقدانها للبوابة السورية التي شكلت مدخلاً لبحبوحة اقتصادية نعمت بها أنقرة على مدار ما يقرب من العقد، شملت الإغراءات الروسية تزويد تركيا بالغاز بأسعار مخفضة

تشير الأحداث -كما السيّاق العام لها- إلى أن التدخل العسكري الروسي كان قد حسم أمره منذ الخريف الماضي على الأقل، ليترك اختيار التوقّت بانتظار اللحظة السياسيّة المناسبة التي تحدّم نجاحه، ربما يعود ذلك القرار إلى لقاء وزير الخارجية السوري مع الرئيس الروسي في موسكو ٢٦ / ١١ / ٢٠١٤، وفيه استطاع الإعلام رصد ظاهرة لربما تحليلها كان صحيحاً، فقد وزعت وسائل الإعلام الروسية صورة واحدة فقط يظهر فيها فلاديمير بوتين مصافحاً الوزير وليد المعلم وفي يده اليسرى (يد بوتين) كان يحمل كراسة من النوع الذي يستخدم عادة لتسجيل الملاحظات المهمة -والطويلة- الأمر الذي قرأه العديد من المحللين بأن بوتين كان يستعد لتسجيل قائمة الطلبات السوريّة أكثر مما كان يستعد لإجراء حوار حول المستجدات، آنذاك تم تمهيد زيارة الوفد السوري مدة ٢٤ ساعة عقد فيها المعلم مع الرئيس بوتين اجتماعاً مغلقاً لم يكن محتواه إلا أنه بالتأكيد لم يكن في مناقشة تصريحات منذر ماخوس التي تتضمن حقداً وحقداً فقط، أو لمناقشة تصريحات أحمد الجريبا التي كانت تتم عن جهل سياسي لم يكن يبّرر سوى جهل مشغليه.

تكرر اللقاء في ٢٩ / ٦ / ٢٠١٥ وفيه أطلق بوتين مباراته «المعجزة» التي كانت بمنزلة جس نبض لكل من الرياض وأنقرة أريد منه تحديد مدى استعدادهما للدخول في تسوية سياسية من شأنها أن تؤدي إلى حل الأزمة السوريّة.

عندما جرى ذلك اللقاء الثلاثي الشهير بين لافروف وكيري وعادل الجبوري في الدوحة ٣ / ٨ / ٢٠١٥ كان هناك وفد عسكري سوري رفيع المستوى يزور موسكو في مؤشر يدل -كما نرى- على أن

موسكو دفعت بسوخوي ٣٠ إلى ساحة المعركة.. ونفذت ٥٥ طلعة في أربع محافظات

**القيادة العامة للجيش تقدم جردة بإنجازات العملية العسكرية البرية:
مصممون على تحقيق المهام وفق الخطة المقررة**

تقارير عن نية حلفاء لواشنطن تسليم «الحر» صوايخ «مانباد»

ذكرت تقارير إعلامية أن مجموعات مسلحة منضوية ضمن ميليشيا «الجيش الحر» ستسلم شحنات أسلحة تتضمن قاذفات صواريخ «مانبار» المضادة للطائرات وكميات من صواريخ، وقاذفات «تاو» المضادة للدروع وكميات من الصواريخ أيضاً، فضلاً عن أسلحة فردية رشاشة وطلقات وقذائف هاون و«آر بي جي». ونقلت صحيفة «الرأي» الكويتية عن مصادر أميركية نفيها أن تكون الولايات المتحدة هي مصدر الأسلحة، معتبرة أن مصدرها هي ما وصفتها بـ«حكومات صديقة للشعب السوري».

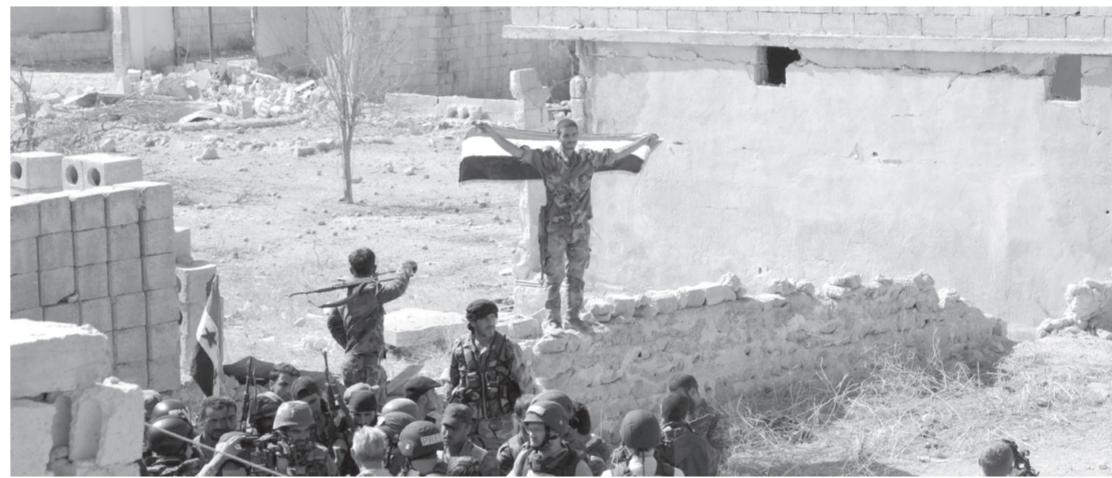
وبحسب الخبراء، فلا يمكن لقاذفات مانبار التي سيتسللها المسلحون «أن تشكل خطراً على المقاتلات الروسية، لكنها ستكون فتاكاً ضد المروحيات التي تقدم إسناداً جوياً للقوات المقاتلة على الأرض». في هذه الأثناء ذكرت التقارير الإعلامية أن معلومات وصلت العاصمة الأميركية عن نية وحدات الحشد الشعبي العراقي التي تقاتل تنظيم داعش الإرهابي في العراق، إشراك نحو خمسة آلاف مقاتل إلى جانب قوات الجيش العربي السوري التي تقاتل بدعم سلاحي الجو السوري والروسي، وخصوصاً في معركة سهل الغاب جنوب إدلب وشرق اللاذقية.

وتواترت الأنباء داخل العاصمة الأميركية أن إدارة أوباما أرسلت تحذيرات قوية لرئيس حكومة العراق حيدر العبادي من مغبة السماح لهذه القوات العراقية بالقتال داخل سوريا، خصوصاً أن مقاتلي الحشد الشعبي يتلقّبون رواتبهم من وزارة الداخلية العراقية ويتبعون سلطة الحكومة.

وأشار المصدر إلى تدمير ملأاً لإرهابيين
وعدد من الأليات بينها عربات صهريج
محملة بالوقود وسيارات قاطرة ومقطورة
وعربات محملة بالذخائر في محيط تل سكك
وبلدة سكك بريف حماة الشمالي، وأكد أن
الضربات استهدفت معسكراً بداخله
إرهابي قرب بلدة المسطومة بريف إدلب.
وتتطابقت التفاصيل التي ذكرها المصدر
مع التي أعلنتها وزارة الدفاع الروسية
في بيان أصدره المتحدث باسمها إيغور
كوناشينكوف، والذي أوضح أن مقاتلاته
روسية من طراز «سو-24 إم» و«سو-
25 إس إم» و«سو-34» قصفت موقع في
محافظات حمص وحماة والاذقية وإدلب،
لاقتا إلى أن مقاتلة «سو-24 إم» دمرت
باستخدام قنبلة جوية موجهة من نوع
«كاب-50» مركز قيادة واقع تحت الأرض
في محافظة حماة، وأكد أن جميع الطائرات
الروسية عادت إلى مطار حميميم بعد تنفيذ
مهاماتها القتالية.

ولفت كوناشينكوف في البيان الذي نقله موقع
«روسيا اليوم»، إلى أن وسائل الاستطلاع
الجوية والفضائية الروسية تواصل البحث
عن أهداف جديدة للبني التحتية لداعش على
الأراضي السورية لتدميرها لاحقاً، وأضاف:
إن مقاتلات سو-30، انضمت إلى مجموعة
القوات الجوية الروسية في سوريا.

وأشار المصدر إلى أن الإرهابيين يحاولون
في الأيام الأخيرة نقل الذخيرة والأسلحة
والوقود إلى خطوط المواجهة مع القوات
السورية من محافظة الرقة، لافتاً إلى أن
الطيران الحربي الروسي دمر جزءاً كبيراً
من احتياطيات الإرهابيين من الأسلحة



واختتمت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة بيانها بالتأكيد على أن «الروح المعنوية لقواتها عالية وهي مصممة على إنجاز مهمتها وفق خطة العمليات المقررة». من جهة أخرى ذكر مصدر عسكري أن الطيران الحربي الروسي بالتعاون مع القوى الجوية السورية، نفذ خلال 53 ساعة الأخيرة، 50 طلعة جوية، دمر خلالها مركز قيادة للإرهابيين بمحيط بلدة سلمى في ريف اللاذقية، كما استهدفت 7 مراكز قيادة و 6 معسكرات تدريب و 6 مستودعات ذخيرة وعتاد وعدداً من الأسلحة في ريف إدلب شهدت تظاهرات وأكّد المصدر وفقاً لوكالته «سانا»، أن الطلعات الجوية أسفرت عن تدمير 25 موقعاً محصناً تحتوي على عتاد حربي وأسلحة ثقيلة لـ«الإرهابيين» في صفوف التنظيمات التي ينادي الروح المعنوية للإرهابيين بشirtة إلى أن بلدة أرمناز وعددًا في ريف إدلب شهدت تظاهرات

للدروع أميركية الصنع في أم حارتين. صاروخى مركز، حققت نجاحات مهمة وافتلت إلى أن العمليات أدت أيضاً إلى تدمير عملياتها العسكرية المتواصلة ضد تنظيمات الإرهابية على اتجاهات عدة في ريف الشعالي مدينة حماة، مبينة أن القوات العسكرية كانت من «أحكام السيطرة على بلدات قرى (أقرن بودة - عطشان - قبيات - عربكة - أم حارتين - سكك - تل سكك - العصر - البحصة).»

وكانت وكالة «سانا» الأنباء عن بيان مصدرته القيادة العامة للجيش، تأكيدتها العمليات العسكرية في عدد من القرى بالبلدات المنتشرة على جانبي الحدود دارارية لمحافظة حماة وإدلب أسفرت عن قضايا على أعداد كبيرة من الإرهابيين، تدمير عدد من العربات المدرعة سكك وقتل سكك وقتل سكك وتم تدمير خمس عربات

أوباما كان لديه شكوك حول تدريب «المعتدلة»...
«قوات سورية الديمقراطية» تشكيل جديد
في شمال البلاد لمحاربة داعش

عرض قوة اه وطن

٢٥١ - مکاتب

**أحمد وتلول سبعين وجب الصفا
والجبول** في ناحية كويرس شرقي
بنقطة دير حافر.
ولفت المصدر إلى أن غارات سلاح
الجو على أوكار وبؤر مسلحى
داعش في حويجية وقصير الورد
وتل النعام وتل علم وتردم
وأم ضمنة في ناحية السفيرة
إلى الجنوب الشرقي من مدينة

۲۰

ثلاثة أيام من طرد تنظيم داعش
هابي المجموعات المسلحة من
طقة الحرة وسجن الأحداث
ية كفر طون وجبل عنتر في
حبل الشمالي، طهر الجيش
ربى السوري تلك المناطق أمس
عملية مسكنية نوعية استعد لها
دوا وبدت التنظيم خسائر كبيرة
رية وعسكرية.
داد مصدر عسكري لـ «الوطن»،
الجيش تقدم من محاور عديدة
الريف الشمالي حيث مناطق
طربته في باشковي وسيفات
ندرارات وسجن حلب المركزي
جاه سجن الأحداث والمنطقة
برة بعد أن استقدم تعزيزات
ه الغاية ودارت اشتباكات بينية
تمرت طوال الليل حتى فجر أمس
طرطت التنظيم إلى الانسحاب
ضفت خسائره وليتم الجيش
يته بالسيطرة على جبل عنتر
ية كفر طونة الاستراتيجية
ط حال من الذهول أصابت
ش ومجموعات المسلحين الذين
حبوا من تلك المناطق الحيوية
دون قتال لوضع التنظيم
مواجهة مع الجيش العربي
وري.
د المصدر أن الجيش يعد العدة

عرض قوة أميركا، إلى سورية واليمن ولبيبا «يسرون

في طريق خطأً». بينما تم الإعلان عن تشكيل ما يسمى «قوات سوريا الديمقراطية» في شمال البلاد من عدة تنظيمات مسلحة من ضمنها «وحدات حماية الشعب» ذات الأغلبية الكردية المدعومة من التحالف الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة، كشف الرئيس الأميركي، باراك أوباما، عن أنه كان لديه شكوك منذ البداية حول «فكرة إمكانية تأسيس جيش بالوكالة» في سوريا.

وورد في بيان لوحدات حماية الشعب وتلك التنظيمات تقليل المرصد السوري لحقوق الإنسان المعارض؛ إن المرحلة الحساسة التي يمر بها بلدنا سورية وفي ظل التطورات المتتسارعة على الساحتين العسكرية والسياسية تتضمن أن تكون هناك قوة عسكرية وطنية موحدة لكل السوريين تجمع بين الكرد والعرب والسريان وكل المكونات الأخرى على الجغرافيا السورية وتهدف هذه القوة إلى إنشاء سورية ديمقراطية ليتمت في ظلها المواطنون والمواطنات السوريون بالحرية والعدالة والكرامة ومن دون إقصاء لأحد من حقوقه المشروعة، وعلى هذا الأساس نعلن نحن التشكيلات العسكرية المدرجة أسماؤها أدناها عن تشكيل قوات سورية ديمقراطية والمتشكّلة من: «التحالف العربي السوري المتضمن (جيش الثوار - غرفة عمليات برakan الفرات - قوات الصناديد - تجمع ألوية الجزيرة)، المجلس العسكري السورياني، وحدات حماية الشعب، وحدات حماية المرأة».

وقال المرصد: إن تشكيل «قوات سورية الديمقراطية» جاء بالتنسيق مع التحالف الدولي وبطلب منه، كتمييز للسيطرة على مدينة الرقة، وقرى عربية أخرى في محافظات حلب والحسكة والورقة، بعد الحملات التي تعرضت لها وحدات حماية الشعب، حول قضية تطهير قرى عربية من سكانها في هذه المحافظات، بينما قالت مصادر سورية معارضة للمرصد: إن «هذه القوات ليس لها أي قيمة على الأرض، والوحدات الكردية هي عمامتها».

وعبر إرسال الولايات المتحدة قوات عسكرية في ماضي إلى بلدان كالعراق وأفغانستان «خطأً»، موضحاً من يؤكدون ضرورة إرسال قوات عسكرية، من أجل

أَنْ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ هُنَّ مِنْ أَكْثَرِ مَا يَقُولُونَ